

تسخير كربلاء

في واقعة الوالي محمد نجيب

في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م

تسخير كربلاء

في واقعة الوالي محمد نجيب

في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م

وهي الواقعة التي أرخت بكلمتي
(غدير دم)

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

مراجعة وتنقيح

أ.د. طارق نافع الحمداني



الإمامة العجمية لعنتبه الخميني القاسمي
مركز بلاء الدراسات والبحوث

الكتاب: تسخير كربلاء

(في واقعة الوالي محمد نجيب ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)

الكاتب: السيد عبد الرزاق الحسيني

الناشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

إصدار: شعبة التأليف والترجمة

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

جمهورية العراق / كربلاء المقدسة

00964 7719491210

00964 7814187625

www.c-karbala.com

info@c-karbala.com

karbala.center1@gmail.com

karbala.center1@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٥٤

لسنة ٢٠١٥م

كل الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله
الطيبين الطاهرين المعصومين
وبعد...

فقد اكتسبت مدينة كربلاء منزلة قدسية عالية، منذ توسد
امامنا الحسين عليه السلام أرضها سنة ٦١ هـ، واتجه المسلمون من عشاق
النبي الاكرم واهل بيته الطاهرين عليهم السلام، اليها من اجل الزيارة او
المجاورة، فازدهرت وصارت من المراكز العلمية والادبية
والحضارية، الا انها لم تنجُ من حقد الحاقدين المعاندين، فتارة
تحرث ارضها وتغمر بالمياه، واخرى يمنع الزائرون وتقام
المسالح حولها للتنكيل بمن يأتي اليها للزيارة ...

ولعل اخر ما مر على هذه المدينة المقدسة ما تعرضت له
من حقد النظام الدكتاتوري الطائفي المنهار، في اثناء انتفاضة
شعبان الباسلة عام ١٩٩١ م، إذ قصفت بالطائرات واحتلت



بالمدافع والدبابات، حتى اصيبت القبة الحسينية الشامخة، ولا تزال اثار رصاص الحقد الطائفي ماثلة على جدران الروضة المطهرة.

ومن اهتم بتاريخ هذه المدينة المقدسة:

المؤلف العراقي المعروف المرحوم السيد عبد الرزاق الحسيني، مؤلف كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) وغيره من الكتب القيمة التي تؤرخ لبلادنا الغالية، فلقد خص مدينتنا بهذا الكتاب الموسوم (تسخير كربلاء)، وحيث ان مركز كربلاء للدراسات والبحوث - وبتوجيه من سماحة الامين العام للعتبة الحسينية المقدسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي دام عزه - مهتم باحياء تراث هذه المدينة المقدسة، ونشر الكتب التي تتناول تاريخها وما يتعلق بها من اخبار، ومن سكنها من العلماء والادباء، ولأهمية كتاب (تسخير كربلاء) وما حواه من مادة تاريخية مهمة، لذا فقد أرتأى المركز اعادة طبعه وتيسيره بين ايدي القراء والباحثين والدراسين، نامل ان يكون عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وان يكتبنا فيمن لبي نداء الحسين عليه السلام يوم هتف: (الاهل من ناصر ينصرنا) ..



لأننا نعتقد ان خدمة هذه المدينة المقدسة هي خدمة للامام
الحسين عليه السلام وانتصارا لقضيته العادلة التي استشهد من اجلها .
واملنا كبير بالأخوة الباحثين والقراء الاعزاء بان يرفدوا
المركز بملاحظاتهم وآرائهم التي تسهم في رفع مستوى ادته ..
والله من وراء القصد.

مركز كربلاء للدراسات والبحوث



كلمة لا بدّ منها

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

و بعد.....

هذا بحث تاريخي صرف عن حادثة تاريخية وقعت في كربلاء قبل مئة وخمسين عاماً، كنت نشرته في العدد الثالث والرابع من السنة السادسة في مجلة (البلاغ) الزاهية قبل عامين ورأيت الآن أن أعيد طبعه في هذه الرسالة الموجزة، بعد أن أضفت إليه بعض المعلومات التي استجدت راجياً أن يجد فيها عشاق البحث العلمي متعة.

ومن الله السداد والتوفيق.

السيد عبد الرزاق الحسيني

فندق خير الله في بحدون: غرة رمضان ١٣٩٨



تسخير كربلاء

المرقد المقدسة وحرمتها:

كانت المدن المقدسة والأضرحة المطهرة - فيما مضى من السنوات القريبة- حرماً آمناً يُعصم الناس من الأذى في أحيان كثيرة ويجعلهم في منأى عن طائلة العقاب بحكم الجوار، حتى أصبحت هذه المدن وهاتيك الأضرحة -بمرور الزمن- ملاذاً لبعض الشقاة والخارجين على النظام، وملجأ للعصاة والهاربين من وجه العدالة في ظروف خاصة، أو قاسية. وقد نسب إلى الرسول الأعظم ﷺ أو إلى احد أئمة آل البيت عليه السلام قوله (شر أمتي سكان قبورنا) وان لم نعثر على هذا القول المأثور في الكتب المعتمدة.

وكانت مدينة كربلاء، إحدى المدن المقدسة في العراق، وما تزال تتمتع بمركز روحي ممتاز، وحرمة يقدها المسلمون على اختلاف مذاهبهم وتباعد ديارهم، حيث دارت فيها معركة الشمم والاباء بين سبط النبي العربي عليه السلام، الحسين بن علي عليه السلام، وعامل بني أمية على الكوفة عبيد الله بن زياد، فلا



عجب - والحالة هذه - أن تكون أكثر المدن ازدحاماً بالأغراب، وأشهر مقاماً لذوي النزعات الدينية والسياسية المختلفة.

وكان نفوذ العثمانيين الذين حكموا العراق خلال الأعوام (٩٤١ - ١٣٣٥ هـ / ١٥٣٤ - ١٩١٧ م) ضعيفاً ولا سيما في القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد، ويكاد يكون معدماً في المدن المقدسة نتيجة لاحترام الولاية لها، وعدم رغبتهم في التدخل في أمورها، الأمر الذي أدى الى أن تحكم هذه المدن نفسها بنفسها في ظروف كثيرة وأحيان خاصة، بحيث استطاع الأغراب فيها أن يكونوا أسياد المواقف في بعض المناسبات. وقد انتبه الرحالة البريطاني، (جيمس فريزر)، الى هذه الناحية في رسالته الى زوجته في ٢٨ تشرين الثاني من عام ١٨٣٤ م^(١).

وهذا مقتطف منها:

ومن الحقائق التي تدل على ضعف الحكومة العثمانية التام في هذه الولاية، ان جميع العتبات التي لها قدسية خاصة تقريباً، قد جعلت ملاذاً لشر الناس في المجتمع واكثرهم تفاهة... ومن المحتمل ان يكون هذا قد نشأ عن طبيعة الحماية التي تقدمها هذه الاماكن للناس من دون تفريق بينهم، ولان هذه

[١] جيمس فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد في سنة (١٨٣٤ م) نقلها الى العربية جعفر الخياط، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٦٤)، ص ١٧٤.



الحماية يستغلها في الدرجة الأولى أسوأ الخارجين على القانون من الناس بطبيعة الحال... وهكذا يتجمع أصحاب السوء، وقد يدفعون الكثير من المال من اجل الحصول على حماية حتى يكون في مقدورهم الهيمنة عليها، كما هي الحال في محلة الشيخ عبد القادر [الكيلافي] ببغداد نفسها.

وقد جعل مثل هذا الوضع كذلك في النجف وكربلاء معاً ولكن بمقاييس أوسع وحالة أسوأ بكثير، اذ ازداد عدد المتمردين المتجمعين هناك بحيث لم يعد من الممكن لحاكم المنطقة، ولا لسلطة الباشا، ان تسيطر عليهم.

وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من الزوار الذين يأتون لزيارة العتبات المقدسة، الإذعان لأوحش الطلبات، وأبعدها عن المألوف والمعقول. وفي حالة عدم الانصياع للطلبات كانوا ينهبون أمتعتهم ويجردونهم حتى من ألبستهم، كما يسلبون زوجاتهم وبناتهم في بعض الأحيان.

وقد استفحل هذا الشر لدرجة اضطر فيها داود باشا نفسه الى تجريد قوة ضد النجف، فنجح في إخضاعها للطاعة، ولاتزال كربلاء في حالة ثورة^(١).

[١] هذه المعلومات مقتبسة في رحلة فريزر، المصدر نفسه، ص ١٧٤.



جماعة اليارامز:

و (اليارامز) كلمة تركية تطلق على الأوباش والسفلة الذين لا يصلحون لشيء، او الأشرار من طبقات المجتمع على حد تعبير الرحالة البريطاني فريزر في ص ١٧٨ من رحلته انفة الذكر.

وقد تكونت جماعات (اليارامز) في كربلاء على عهد الوالي الكولمندي داود باشا الذي حكم العراق خلال السنوات (١٢٣٢-١٢٤٧هـ / ١٨١٦-١٨٣١م).

وكانت كل جماعة من هؤلاء تحتمي بزعيم يرأسها ويذود عنها لدى الجهات المختصة، ولعل جماعة السيد إبراهيم الزعفراني -الإيراني التبعة^(١)- كانت أكثر هذه الجماعات عدداً،

١ السيد ابراهيم الزعفراني، يشير اليه العزاوي بانه من زعماء الكشفية، وفي خدمة الروضة الحسينية، ولا تزال بقايا ذريته معروفة. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) ج٧، ص٦٥، هذا وينسب العزاوي هذه المعلومات إلى ما يسميه بـ (التاريخ المجهول).

وتحدثت بعض المصادر الانكليزية الوثيقة عن ابراهيم الزعفراني وعدته فارسياً مستعرباً، ينظر: ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع علي بن علي، الدوحة، قطر، د.ت، ص١٩٨٦، حيث اورد كذلك كثيراً من



وأشدها بأساً وتأثيراً في المجتمع الكربلائي في هاتيك الايام
المظلمة، فكانت تتحدى السلطات الحكومية علنا وتوقع
بالأبرياء من الأهلين ألواناً من العذاب جهاراً.

وما يزال في احد ازقة كربلاء الداخلية طاق ينسب الى
الزعفراني، ويعرف باسم (طاق الزعفراني).

كانت جماعات اليارامز تعيث فساداً في هذه المدينة المقدسة،
وتذيق الأهلين ضروراً من التعسف والاضطهاد، ولاسيما حين
كانت المنافسة تشتد بين افرادها، فيؤدي اشتدادها الى الاقتتال
فيما بينهم، فيعاني الاهلون المسلمون من ذلك أنواع لإرهاق
وضروب الخسائر.

ولم يشأ الوالي الكولمندي داود باشا ان يتدخل في امور هذه
الفئات الفوضوية او يشل نشاطها، احتراماً لقدسية المدينة من
جهة، وما دامت جباية الأموال الأميرية سائرة سيرها المعتاد
من جهة اخرى اذ كان يدخله منها نحو ٣٥٠٠٠ قران أيراني
في كل سنة، حتى اذا زار احد الأمراء القاجاريين مدينة كربلاء

المعلومات التفصيلية عن واقعة كربلاء، ص١٩٨٦-١٩٩٨، اذ ذكر المؤلف
نفسه (لقد تناولت قضية كربلاء بشي من التطويل المبالغ في نوعا ما لأنها تصور
لنا اتجاهات ونزعات خاصة في العراق العثماني) لوريمر، ج٤، ص١٩٩٨.



في عام (١٢٤١هـ - ١٨٢٥م) ومعه أولاده وبناته الحسان، تناول احد الأفراد من اليارامز عليه، فسلب ما كان معه من اموال وتحف ومجوهرات، وتجراً سحب له فاختطفوا احدى كريباته فقفل الامير القاجاري راجعا الى بغداد غاضباً، ومستجيراً بواليتها الكولمندي.

ولما احاط ممثلو ايران في بغداد وكربلاء والنجف حكومتهم علما بما وقع لأمرهم هذا، اتصلت حكومة طهران بحكومة القسطنطينية (استانبول) للتدخل وانقاذ الموقف، فأصدر السلطان عبد المجيد خان العثماني اوامره الى والي بغداد داود باشا، بوجود استئصال شافه الجناة والشقاة، واكد على وجوب استرداد المنهوبات والمخطوفات، وفرض هيبية الحكومة وكرامتها، فكانت (وقعة الميرآخور)^(١) التي قادها

[١] يرد اسم هذه الحادثة في بعض الكتب الاخرى (حادثة المناخور) سيد عبد الحسين الكليدار ال طعمه، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، حققه عادل الكليدار، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٦٦، ص٤١-٤٣؛ كما ونشر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، من جملة الوثائق الرسمية الصادرة عن الوالي داود باشا إلى حكام كربلاء والنجف في (صفحة مجهولة في تاريخ النجف وكربلاء في القرن الثالث عشر) مجلة البلاغ، العدد ٣ (١٩٧٥) ص٥-١٧.

وهي سلسلة وقائع نلخصها عن مخطوط في مكتبتنا اسمه (نزهة الاخوان وفي وقعة بلد القتيل العطشان)، [في الاصل عطشان وما ذكرناه هو المتعارف عليه



سليمان أخور (أمير الاصطبل) ووصفها المؤرخون بأسهاب. ولكن لم يكن لهذه الواقعة التاريخية غير تأثير بسيط، واثار موقته على الوضع العام في كربلاء اذ سرعانما عادت جماعات

بالنسبة لعنوان هذا المخطوط انظر، عبد الحسين الكليدار المصدر السابق، ص ٤١؛ عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧، ص ٦٨).
اولا: الواقعة الأولى: وتسمى واقعة القنطرة، وكان يحمل لواء الجند فيها رجل يدعى درويش، وقد قتل فيها ثمانية جنديا مع أربعة أفراس لهم، ولم يفقد أهل كربلاء غير أربعة قتلى.

ثانيا: الواقعة الثانية: وتسمى واقعة المشمش، حيث دخل الجنود بساتين المدينة، وشرعوا في نهب المشمش منها في وقت خروج الاهلون لجمعه. فاقتتل الطرفان في ارض الجوبية، وتغلب الكربلائيون على خصومهم.

ثالثا: الواقعة الثالثة: وتسمى واقعة الهيابي، وهي اشد المعارك التي دامت عدة ساعات، ووقعت فيها خسائر جسيمة في الاعتدة والانسف. فقد جوبهت، الحملة التي كان يقودها صفوك، بصمود واقتتال اديا الى جرح القائد نفسه، فندب الوالي داود باشا امير اصطبله سليمان ماخور لقهر الكربلائين، وكان هذا القائد خبيرا بفتون القتال، وسبق له الاشتراك بنجاح في معارك مختلفة، فقاد قوة كبيرة مزودة بالمدافع والقنابل قدرت بألف وخمسة جند. فلما وصلت هذه القوة الى اطراف كربلاء، عسكرت في الحر، على مسافة خمسة كيلوا مترات فقطعت الماء عن المدينة. ولما شرعت في مهاجمتها، تصدى لها الاهلون وقتلواها قتالا عنيفا. ويقال ان جثث القتلى غطت ارض الحر والهيابي والوادي.

رابعا: الواقعة الرابعة: وتسمى واقعة الاطواب او واقعة باخية: وباخية اسم امرأة كانت تتلاقف قنابر المدافع بيدها - كما يقولون - وتكيل الشائم للجند، وان عدد القنابر التي قذفتها مدفعية الجيش تراوح بين الاربعين والستين قنبرة، ولكنها لم تؤد الى نتيجة حاسمة.



(اليارامز) الى سابق افعالها بمجرد ان انتهى عهد الوالي داود باشا في عام (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م)^(١).

خامسا: الواقعة الخامسة: ويقال واقعة الخيمكة، وقد سميت كذلك لان قائد الجيش اتخذ من موضع الخيمكة مقراً لخيله، ومعظم جنده، ووزع بقية افراد قوته على مختلف المواضع، ولما قامت قواته بهجمات على الاهلين، قاتلها هؤلاء بشجاعة، وفقد منهم اربعة قتلى، ولم تعرف خسائره.

سادسا: الواقعة السادسة: وتسمى واقعة البردية، وفيها استولى الاهلون على عدد من خيول الجند، وبنادقه، ومدافعه.

سابعا: الواقعة السابعة: ويقال لها واقعة بني حسن، فان قائد الجيش، بعد ان عجز عن مقارعة الكربلايين، استعان بقبيلة بني حسن المجاورة، بعد ان اغرى رؤساءها بالمال ونحوه. وعلى الرغم من ان هذه القبيلة كانت مع الكربلايين في حلف، فان رؤساءها تعهدوا للقائد بقهر المدينة، وسبي اهلها، ونهب اموالها اموالها، وما لبثوا ان عبروا نهرانها، واحاطوا بجدرانها، فهب الاهلون يقاتلونهم قتالاً مريراً حتى تمكنوا من الحاق الهزيمة بهم، وقتل بضعة انفار منهم، فأدرك القائد ان لا قبل لاحد على كربلاء ومن فيها.

ثامنا: الواقعة الثامنة: تسمى واقعة الامان (ووجه هذه التسمية ان قائد الجند بعد ان ضاق ذرعا بالكربلايين وحرورهم لجأ الى الحيلة فأعلن الامان باسم الوالي داود باشا، وعفا عن كل ما سبق، فأطمأن الناس الى هذه النتيجة، واذا به يفاجيء المدينة في ليلة الخامس عشر من ذي الحجة بوابل من القنابر، فعاد الاهلون الى التجمع والنضال، وتمكنوا من دحر الجيش رغم تفوقه عدة وعدداً فأدرك الوالي داود باشا سوء المتقلب، واستعان برجال من عكيل القصيم، والاحساء وغيرهما ففسكروا على صدر الحسينية، وقطعوا الماء ونهبوا السابلة وقاموا بأعمال تقشعر لها الابدان، واضطر الوالي الى مهادنة المدينة وزيارتها (وكفى الله المؤمنين القتال).

[١] في هذا العام (١٨٣١م) واستبعد داود باشا عن ولاية بغداد، ونصب مكانه علي رضا باشا (١٨٣١-١٨٤٢م).



اليارامز وعلي اللاز:

ولما حل الوالي علي باشا اللاز، حمل الوالي داود باشا الكولمندي في حكم بغداد (١٢٤٧ - ١٢٥٨ هـ / ١٨٣١ - ١٨٤٢ م) اعار مدينة كربلاء اهمية خاصة، وسعى لإصلاح ما فسد من أمورها وجمع من تشتت من أبنائها، لأنه كان بكتاشي الطريقة^(١) مغرقا في محبة ال البيت المصطفى ﷺ فلم يمسسها بسوء، ولم يلتفت الى ما كان وقع فيها من قبل، فأخذ الناس يعودون الى المدينة تباعاً، كما اخذ الإيرانيون الهاربون من وجه العدالة والتعقيبات القانونية (يلجأون اليها من ماردين الى المحمرة) وهكذا اخذ عدد اليارامز يزداد في هذه المدينة

١. البكتاشية، او البكطاشية، طريقة من الطرق الاسلامية الصوفية المعروفة، تنسب الى احد الأولياء (واسمه الحاج بكتاش ولي) وهو العارف بأمر الله السيد محمد الرضوي من اولاد الامام الرضا، او من اولاد الأمام الكاظم، وقد ولد في ناسبور (نيسابور) بيران، وذهب الى الاناضول في تركيا فهدى الانكشارية الى الاسلام - على اصح الروايات - الا ان إتباعه غلوا في طريقته حتى تركوا اكثر الفرائض اليومية، والامور التعبدية، فلم يأتلف به اكثر المتشرعة من المسلمين. ويتفق القزلباش في شرقي اسيا الصغرى، وكرردستان، والعلي اللا هية الذين يغالون في علي بن ابي طالب من ايران والعراق، مع البكتاشية في اصول عقيدتهم، وان كانوا يفتقرون الى نظام هؤلاء الصارم. وقد توفي الحاج بكتاش سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧) وهي تقابل كلمة بكتاش بحساب الجمل ودفن في تركيا وما يزال قبره يزار ويتعهده أصحابه بالرعاية والزيارة.



بالتدريج حتى بلغ اثني عشر ألف رجل، فاستهانوا بالوالي الجديد، بعد ان امنوا من بطشه، وعادوا الى سابق استفزازهم.

استأنفوا ابتزاز الأموال من الناس، وأمعنوا في سلب الحريات والاعتداء على الأبرياء، وجأهروا بتحدي السلطة حتى اضطر العالم المجتهد، والكاسب الرعديد، والحاكم المسكين، للخضوع الى سلطة هؤلاء الأوباش، مما حمل الوالي علي باشا اللازم على التفكير في أمرهم لتخليص الناس من شرورهم، فقرر تجريد حملة عسكرية لكبح جماعهم، وإرهاقهم بالضرائب والرسوم لإرجاعهم إلى سواء السبيل ويقول المؤلف العراقي في المجهول في مخطوطته^(١) على ما يرويهِ الأستاذ المرحوم عباس العزاوي في ص ٦٥ من الجزء السابع من كتابه الكبير (تاريخ العراق بين احتلالين).

(وفي ايام علي باشا - اللازم - حاصرهما، وخرج اليه سادات البلد وزعماءها^(٢))، وتكفلوا له بزيادة الإيراد، فارتحل عنهم. وكان ذلك الوالي لا يبالي بعصيانهم، ومرامة الدراهم وقد أدوا

[١] يُسمى عباس العزاوي، هذا المخطوط باسم (التاريخ المجهول) وقد الف هذا الكتاب على ايام الوالي داود باشا ومضى في حوادثه الى عام (١٢٧٩هـ) ج٧، ص٦.

[٢] وورد عند عباس العزاوي من نسخه المخطوط (وعلماءهم).



له سبعين ألف قران المثل اثنين - عما كانوا يؤدونه إلى داود
باشا - فرضي وتركهم).

ولكن بعد ان ابقى فيها حامية من الجماعة المناوئة لعقائد
أهلها من بني سالم والكبيسات فلما طالت ايام الباشا اللاز
وكرثت سوءاته نقل من بغداد الى الشام ليحل محله وال جديد.

اليارامز ومحمد نجيب:

حل محمد نجيب باشا محل علي باشا اللاز في حكم ولاية
بغداد. وقد قيل في تسويغ هذا النقل انه اختير لهذه الولاية
للشروع في عهد التنظيمات الجديدة، فامتدت ولايته من (عام هـ
١٢٥٨ / ١٨٤٢ م الى عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م). وكان قد نقل
اليها من الشام ووصل الى بغداد في ايلول (١٨٤٢ م) والمعروف
عن هذا الوالي انه كان من اسرة كبيرة في اسطنبول ومن المقربين
الى السلطان وانه كان ذا ذكاء وشجاعة وحيوية خارقة^(١) كما
كان صارما في أحكامه شديد القسوة في اجراءاته فلما علم ان

[١] تنطبق هذه المعلومات مع ما اورده لونكريك، اربعة قرون في تاريخ العراق
الحديث نقله إلى العربية جعفر خياط، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع،
بيروت لبنان، ١٩٤٩ ص ٢٦٩.



اليارامز مازالوا يصولون ويجولون في كربلاء ويعيشون فيها وفي أطرافها الفساد، وأنهم لا يهابون قوات الدولة النظامية ولا يرهبهم بطشا، وان جميع الحملات التأديبية التي سبقت عليهم من قبل لم تأت أكلها بل باءت بالفشل، قرر في السنة الثانية من حكمه ان يدلي بدلوه ويجرب حظه في امر القضاء على هذه الشراذم، وفرض سلطة القانون والنظام في المدن المقدسة ولاسيما وهو المشهور بتعصبه المذهبي، والمعروف بقوة بطشة وحزمة في معالجة ما يوكل اليه من الأمور المستعصية.

فأعرب عن رغبته في زيارة مدينة كربلاء، والتعرف على علمائها وسراتها وأصحاب الرأي فيها فاذا بأولي الحل والعقد فيها يطلبون اليه وجوب تحديد عدد الأشخاص، الذين سيراقدونه في هذه الزيارة، ويصرون على الا يتجاوز ذلك الستة، فیسوء هذا التحديد وقعا في نفس الوالي، ويزيد في حنقه وتصميمه على وضع حد لهذا الاستهتار بهيبة الحكومة المركزية. ومما زاد الطين بلة والعزم توكيدا، ان المدينة كانت قد رفضت تموين حامية المسيب الحكومية القريبة منها، بالارزاق التي كانت الحاجة قد مست اليها في عام (١٨٤٢ م).



الوضع العام في كربلاء:

هنالك وصف عام للحالة التي كانت تسود كربلاء ايام (اليارامز)، كتبه مؤلف مجهول لم نر بدأً من اثباته، تمهيداً لما نريد ان ننشره عن هذه التمثيلية او المأساة. قال المؤلف المجهول^(١):

(ان كربلاء كانت عاصية على وزراء بغداد، فسير العساكر اليها - محمد نجيب باشا - وكان السيد ابراهيم الزعفراني، رجل أصله عجمي، وترأس على أوباشها وسفائها وإطاعة أرذال البلد المفسدون وهم يتولون الحرب، وعامتهم من أيام داود باشا كانوا عاصين الا انهم يؤدون شيئاً قليلاً عوض خراجها - نحو خمسة وثلاثين ألف قران - وكل من يعمل مفسدة في العراق، او يأكل أموال الناس يذهب الى كربلاء، ويستجير بهؤلاء الأراذل، حتى اجتمع عندهم مقدار عشرة الاف مقاتل من أجلاف الناس.

[١] وهو ابن السيد محمد باقر محمد علي ميرزا بن محمد علي شاه وهو عم السيد حسن بن عم السيد اغا مير، بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر المذكور ترجمته في قصص العلماء وروضات الجنات للخونساري. نقلا عن عباس الغزوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧ ص ٦٥ هامش (٢)



وعصت ايام داود باشا وعلي باشا أنهم عصاة بغاة يؤذون السكان الذين في كربلاء حتى أنهم مرة امسكوا احد مجتهديهم السيد إبراهيم القزويني^(١) ليلا، ولم يطلقوه حتى أدى لهم أربعة آلاف قران من سكة محمد شاه فأطلقوه، فهم مفسدون ذوو جرأة على اعراض الناس، واهل البلد يأوونهم ويخافون على أنفسهم لأنهم متى أرادوا هجموا على بيت احدهم ونهبوا والحاكم الذي هو من أهل البلد طوع أيديهم ولا يعارض بما يفعل هؤلاء الباغون الفجرة...) انتهى المقصود^(٢).

وأول الغيث قطر:

أراد الوالي محمد نجيب باشا أن يفهم اليارامز، وبقية القاطنين في كربلاء انه يبيت لهم امرا خطيرا اذا لم يتركوا الشقاوة ويعيدوا للقانون والنظام قدسيتها، وانه مصمم على ان يجتث بؤرة الفساد من هذه المدينة المقدسة، وان تطلب الامر هتك حرمتها وامتهان كرامة ساداتها ووجهاؤها.

[١] لم يحدد العزاوي الذي اعتمد الحسني على معلوماته هوية هذا المؤرخ واكتفى بانه مؤلف عراقي، تعيين على معرفة الاوضاع في ايام داود باشا ومن يليه من الوزراء، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص ٢٨٧.

[٢] عباس العزاوي في كتابه (العراق بين احتلالين) ج٦ ص ٢٨٧-٢٨٨؛ كما ورد هذا النص في تاريخ العراق بين احتلالين للمؤلف نفسه في ج٧، ص ٦٥.



وكان قد توجه الى المسيب القريبة منها على راس قوة اعدھا لتأديب القبائل المتمردة من المعدان، فوجه رسائل الى فريق من الرؤساء والمجتهدين في المدينة، يطلب فيها مساعدته على ادخال جيشه الى المدينة، وينذرهم بوجود خضوعها إلى سلطات الحكومة، والشروع في نزع سلاحها خلال شهر واحد، وإلا فعليها أن تعرف مصيرها.

فشعر العقلاء والبارزون بالخطر يحيق بهم وبمدينتهم المقدسة فلم يروا مانعا من ان يتفق السيد كاظم الرشتي وعلي شاه القاجاري، احد أبناء فتح علي شاه وكان يقيم في كربلاء مع الوالي محمد نجيب باشا على ان يبعث إليهم احد وجوه بغداد يبحث معهم أمر مستقبل الحكم، لان البلدة كانت تتمتع بنوع من الحكم الأهلي يرأسه السيد وهاب آل طعمه، وقد تم الاتفاق مع هذا الوجيه على أن تدخل الحكومة الى المدينة حامية عسكرية لا يتجاوز عدد أفرادها الخمسمائة جندي، وكادت الأزمة تنتهي على هذا الأساس، لو لم يتغلب التعصب الأعمى على المنطق السليم، فيؤدي ذلك الى فشل المساعي التي بذلت لخير الطرفين، وهكذا اخذ كل فريق يستعد لمواجهة الموقف الخطر^(١).

[١] لم يشر الحسني الى مصدر هذه المعلومات التاريخية ليسنى لنا تدقيقها.



(ويخيل لي ان الكثيرين من اهل كربلاء لاسيما رجال الدين والتجار الكسبة - لم يكونوا راضين عن الحالة، او راغبين في محاربة الحكومة، ولكنهم لم يستطيعوا الإفصاح عن نياتهم خوفا من اليارامية وهذا ما يحدث عادة في كل مجتمع يسيطر عليه السفلة والغوغاء حيث يعلو فيه صوتهم، ويخفت صوت من عداهم، والويل لمن يعارضهم في شي .

أضف الى ذلك ان النزعة الغوغائية التي تستفحل في مثل هذه الحالة، قد تدفع الكثير من الناس الى الحماس والهتاف وإبداء الشجاعة المصطنعة، وقد ينتشر الحماس الغوغائي بين السكان، كما ينتشر الوباء الجارف، وبذا يسير المجتمع نحو الكارثة خطوة وراء خطوة كأنها القدر المحتوم^(١).

على ان الوالي لم يشأ التسرع في تنفيذ ما كان قد أعدده من خطط جهنمية لفض مشكلة اليارامز المستعصية في كربلاء، التي أخذت تتفاقم على مر الأيام، فأتصل بقناصل إيران، وبريطانية، وفرنسة، و ببعض الشخصيات الإيرانية القاطنة

[١] الدكتور علي الوردي في كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) ج٢ ص١١٩، هذا والملاحظ ان مؤلفنا نظر الى هذه الحادثة من منظور اجتماعي فقط.



في كربلاء، وطلب مساعدتهم لإصلاح ذات البين بينه وبين الكربلايين، وانقاذ الموقف من الترددي، وكأنه أراد بحركته هذه ان يظهر نفسه وكأنه غير مسؤول عما سيحدث من أزمة سياسية بين الدولتين: العثمانية والإيرانية، فيما اذا قرر المضي في تنفيذ خطته، فلم يسفر تشبثه هذا عن اي امل في النجاح (وكانت الحكومات البريطانية والروسية والفرنسية تستغل تلك الفرق لتثبيت إقدامها وتحقيق مصالحها)^(١).

[١] بيردي فوصيل - سفير فرنسا - في رسالته (الحياة في العراق منذ قرن) هذه اشارة عامة ذكرها الحسين عن بير دي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤)، ترجم الدكتور اكرم فاضل، دار الجمهورية، بغداد (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، لا يمكن الوقوف عليها الا في خلال قراءة صفحات هذا الكتاب، للاستدلال على اراء السفير الفرنسي ازاء هذا الحدث، وما له علاقة بتوسيع نفوذ بلاده في العراق.



صراع مذهبي داخلي

كان القرن الثالث عشر للهجرة، التاسع عشر للميلاد، خاتمة نزاع بين فكرتين قديمة وحديثة هما الفكرة الأصولية والفكرة الإخبارية، ولم يقتصر هذا النزاع على أصول الفقه والأحكام فحسب، وإنما تسرب إلى المعتقدات أيضاً، فكانت هناك آراء جديدة في ماهية المقلد والمجتهد، أي الرئيس الذي يتولى منصب الأمام...

وقد ألفت في ذلك مؤلفات عدة نقض فيها كل رأي خصمه، ودخلت هذه المباحثات أصول علم الكلام والفلسفة، فأصبح الموضوع واسعاً، وأصبح التفكير فيه يتطلب تعمقاً في النظر، ووقوفاً على قواعد المنطق القديم.

وكان للشيخ أحمد الاحسائي في بداية هذا القرن مكانة سامية وذكري شهيرة في أندية العلم ومحافل التدريس في كربلاء، والنجف، وإيران، كما كانت له مؤلفات يتداولها قسم من طلاب المعرفة.

ولكن فكرته - لما فيها من الغموض والإبهام، ولما يستعمله مؤسسها من العبارات المعقدة التي ترى بحسب ظاهرها غير



ملائمة في قواعد المذهب والدين كانت ممقوتة وكان الاعتقاد بها يعد مروقا عن الدين خروج على قواعد الأمامية.

وعلى الرغم من ذلك كله، فقد كان له طلاب كانوا يلازمون درسه، وأعوان يترددون إلى مجلسه، وآخرون يبثون الدعاية له هنا وهناك. وقد سمي هؤلاء بالشيخية نسبة إلى الشيخ احمد موضع البحث...

وكان السيد كاظم الرشتي في مقدمة أولئك الطلاب والدعاة، لأنه كان قد تلقى دروسه الاعتقادية على الشيخ احمد الاحسائي نفسه، ومع انه كان من اشد أنصاره فانه لم ير رأي شيخه وأستاذه بعد وفاته في عام (١٢٤٣هـ - ١٨٢٧م)، واخذ ينفرد بعده بآراء وأفكار تختلف اختلافاً كبيراً عن أفكار وآراء شيخه وأستاذه الشيخ احمد الاحسائي، وقد اشتهرت طريقته بالكشفية، الا انه - اي السيد الرشتي - لما تلقى نبأ وفاة شيخه - الاحسائي - حزن عليه حزناً عميقاً، ووجد نفسه محاطاً بخصوم يحصون عليه أنفاسه، ويهزأون بأفكاره وتعاليمه.



استغلال الخلاف:

وكان الوالي محمد نجيب باشا قد سمع بالانقسام المذهبي في كربلاء، والخلاف الناشب بين الإتياع الشيخية، وإتياع الكشفية، حول أمور اجتهادية محضة، فقرر استغلال هذا الانقسام، وكتب الى السيد كاظم الرشتي ان يتدخل لتجنيب المدينة المقدسة كارثة مؤكدة.

ولعل أحسن رواية تروى عن الحالة التي كانت كربلاء تتمخض بها في تلك الايام الحالكة الظلام، واتصال الوالي برؤساء المدينة، ما كتبه محمد زرندي الملقب بـ(نييل) في كتابه (مطلع الأنوار) وهذا نصه:

كان السيد - كاظم الرشتي - يتحمل اهانة أهل الشرور والفساد بكل شجاعة... وكان يتحمل بسكون وهدوء جميع الشتائم والسخرية التي كانت تكال له... ولم يرتفع اي صوت في الاحتجاج ضد هؤلاء... ولكنه عاش ليرى في أواخر أيامه كيف ان يد الغيب قد أهلكت جميع معانديه...

فغضبت الحكومة العثمانية المركزية من تهديدهم ووعيدهم، وأرسلت ضابطاً عربياً لمكان الثورة، ومعه



التعليمات لإطفاء نيرانها، فحاصر الضابط المدينة بالقوة التي كانت معه، وأرسل الى السيد كاظم الرشتي رسالة يطلب فيها ان يهدئ الثورة الفكرية... وان ينصحهم بالاعتدال، ويطلب منهم ان يخضعوا لأمره وحكمه، وأنهم لو فعلوا ذلك يكفل لهم حياتهم، ويؤمنهم، ويأمر بالعمو العام، ويجتهد في كل ما يكفل راحتهم.

وأما إذا رفضوا فانه ينذرهم ان حياتهم تكون في خطر، وتنزل عليهم المصائب الجمه.

وبمجرد وصول الرسالة إليه، احضر السيد كاظم رؤساء الفتنة ونصحهم بغاية الحكمة، ان يكفوا عن الهيجان، وان يسلموا أسلحتهم... حتى لانت قلوبهم وهبطت مقاومتهم، وعزموا على فتح أبواب القلعة ثاني يوم، وان يسلموا أنفسهم بصحبة السيد كاظم إلى القائد...

ولكنهم بعد ان تركوا مجلسه، قام فيهم العلماء أعداء السيد، وحرصوهم على عدم الإذعان...

ولما كان السيد كاظم عالماً بالضرر الذي يلحق بالثائرين، كتب رسالة الى القائد التركي نجيب باشا، وافهمه حقيقة الموقف، فأجابه القائد مرة أخرى طالباً منه إعادة النصح



للأهالي، وانه سيفتح أبواب المدينة في ساعة معينة، ولا يؤمن احد فيها الا من التجأ إلى منزل السيد.

ولما وصلت الرسالة، قام بنشرها في كافة أنحاء المدينة، فقابلوها بالاستهزاء والسخرية.

ولما اخبر بذلك قال - أن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ - وفي الفجر، في الساعة المعينة، هاجمت القوات المرابطة للقلعة، وهدموا الأسوار، واستيحت المدينة قتلاً ونهباً، وهرب الكثيرون ملتجئين إلى حرم المقام الحسيني، والتجأ آخرون إلى مقام العباس، وهرع إلى منزل السيد كاظم أحباؤه ومعارفه، وازداد عددهم بدرجة انه اضطر إلى إضافة المنازل المجاورة لمنزله ليكون الجميع لاجئين، وازدادت الجموع التي هرعت الى منزله حتى انه بعد هدوء الحالة، وجدوا عشرين شخصاً توفوا من شدة الزحام^(١).

[١] مطالع الأنوار لمؤلفه محمد زرندي الملقب ب(نبيل) ص ٢٧-٢٨ واصله باللغة الفارسية فترجمه شوقي افندي رباني الى اللغة الانكليزية والقاضي عبد الجليل سعد الى اللغة العربية، وطبع عربياً في القاهرة سنة (١٩٤٠م). وقد نقل هذا النص عن عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧ ص٦٧، لكنه جاء مختصراً؛ كما نقلت صيغة النص بصورة اخرى، عبد الحسين الكلدار، بغية النبلاء، ص ٤٤-٤٥.



الشرع في الحركات^(١)

كان الوالي محمد نجيب باشا قد توجه إلى المسيب لتأديب قبائل المعدان الثائرة في وجه الدولة واتخذ من هذه القرية مقراً لقيادته ومركزاً لما كان ينوي القيام به ضد الكربلايين، فلما انقطع رجاؤه في تسوية مشكلة اليارامز في كربلاء بالحسنى، هياً قوة كبيرة لتسخير هذه المدينة واستئصال شأفة المتمردين فيها.

وكان قوام هذه القوات ثلاث كتائب من المشاة، وكتيبة واحدة من جنود السباه الحكومية، يعززها عشرون مدفعاً، وبعض المقاتلين الأكراد الذين استدعاهم من كردستان بقيادة احمد باشا بابان لهذا الغرض، مضافاً الى زمر من القبائل العربية العاملة في القوات الحكومية من العبيد - بالتصغير - وغيرهم.

[١] نشر الحسني هذا القسم في مجلة البلاغ التي تصدرها الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية، الكاظمية، العراق، العدد الرابع، السنة السادسة، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) وتحت عنوان: تسخير كربلاء واستباحتها او حادثة محمد نجيب باشا)، ص ٥٣-٦٢.



وقد عقد لواء هذه الحملة للفريق مصطفى باشا- وفي رواية لکرد محمد باشا^(١).

ووجهها إلى كربلاء في الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٨هـ - ١٩ كانون الأول سنة ١٨٤٢م. فضربت القوة حصارا واسعا على المدينة المزدحمة بالزوار والإغراب والمجاورين، وأحاطت بسورها العظيم إحاطة السوار بالمعصم، وضيقت على السكان ضيقا أفقدهم رشدهم وصوابهم، حتى اضطروهم لشرب مياه الآبار المجة، واللجوء إلى التقتير والتقتين في توزيع الأرزاق، وقد استمرت الحال على هذا المنوال ثلاثاً وعشرون يوماً.

فلما شعر الناس بوطأة الحصار، وفشلت الوساطات لإصلاح ذات البين، اجتمع الزعماء والرؤساء، واخذوا يتداولون الوضع فيما بينهم من جوانبه المختلفة.

[١] لم يشير جعفر الخياط الى عقد لواء الحملة إلى الفريق مصطفى باشا وانما اشار إلى القائد العثماني، سعد الله باشا، او كرد محمد باشا وسعد باشا هذا كان يعمل والي في انقره قبل مجيئه إلى العراق وقد امره نجيب باشا بمعالجة قضية كربلاء، بعد ان خاب في قمع حركة اهالي الهندية وعشائرها. صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، مطبعة دار الكتب، بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٩٧١، ص ٣٠٧؛ ويليك قايا كربلاء في الارشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠ - ١٨٧٦م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان الطبعة الاولى، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م)، ص ١٩٩ حيث اشار الى ان القائد العثماني هو سعد الله باشا.



وعلى الرغم من الانقسامات العقائدية التي كانت تفتك بين صفوف الناس، ولا سيما بين رجال الدين وحملة الولاية الشريعة على نحو ما ذكرناه من قبل، فقد استقر الرأي على ضرورة عرض طاعة المدينة وخضوعها إلى السلطة الحكومية، فلما فوَّتح قائد الحملة بهذه الرغبة رفض قبول الاستسلام إلا بأصعب الشروط وأشدّها قسوة وإرهاقا ومن ذلك تسليم عائلات بعض الزعماء الى قيادة الجيش، لتكون بمثابة رهائن لتنفيذ شروط المهادنة، ولكن الأهلين رفضوا هذه الشروط القاسية بكل إباء وشمم، خشية ان تهان إعراضهم، ويدنس شرفهم، ولا سيما وان الكثرة فيهم من الاسر المحافضة.

وعلى الرغم من هؤلاء كانوا يعملون علم اليقين باستحالة التغلب على القوات الحكومة، التي كانت تفوق قواتهم عدة وعددا، فقد ارتأوا عقد اجتماع موسع في الروضة الحسينية، ضم رؤساء كربلاء، وكبار مجتهديها، وسراتها، وأصحاب الكلمة النافذة فيها، وقد تقرر في هذا الاجتماع إجلاء العائلات عن المدينة من أبوابها الجانبية، إلى مضارب القبائل العربية المجاورة، لتكون في حمايتها، كما تقرر الاستنجد برؤساء ال فتلة، وبني حسن، واليسار، وال زغبة، وغيرهم



من رؤساء القبائل القريبة والبعيدة، لإنقاذهم مما هم فيه من ضيق وامتهان، والإسهام في الدفاع عن أموالهم، وأعراضهم، وأنفسهم، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد لبي الرؤساء المجاورون نداء الواجب - والكريم يلبي - فأرسلوا ما تمكنوا من إرساله من المقاتلين والفرسان، وقد قدر البعض عددهم بألفين، وبالغ البعض الآخر فرفع العدد إلى ثلاثة آلاف، ولكن أن للقوات الأهلية أن تقف في وجه الجيوش النظامية المعززة بأحدث أنواع البنادق، والمجهزة بمختلف أساليب الدمار؟

وعلى كل فان قائد الحملة لم يتوان عن التشبث بالوسائل المختلفة لإنقاذ الموقف، وفض المشكل بالتي هي أحسن. فلما فشلت الوساطات والشفاعات، قرر ان يضرب ضربته الأخيرة، فأمر أولاً بقطع أشجار البساتين المحيطة بالمدينة، ليكون الطريق فسيحاً أمام الجند، بحيث لم تبقى نخلة واحدة بينهم وبين السور.

وكان المقاتلون من الأهليين يضربون الجنود الذين ضربوا مخيماتهم في السهل وهم معتصمون فوق السور خلال هذه الفترة، فيرد الجند عليهم بالمثل.



ثم أوعز إلى قائد المدفعية أن يشرع في هدم السور المحيط بالمدينة، مهما كلفه الأمر، ليتمكن الجنود من الدخول إليها بيسر، ويقضي على المقاومة وعلى القبائل التي نفرت للمساعدة.

وفي فجر اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٢٥٨) للهجرة، والثالث عشر من شهر كانون الثاني سنة (١٨٤٣) للميلاد أخذت المدافع في إطلاق قنابرها على السور بشدة، فاستطاعت ان تفتح فيه ثغرة واسعة من ناحية باب النجف، وإذا بفريق من الجند يتسلق السور ويمشي فوقه بسلاحه، وفريق آخر يدخل من الثغرة ويتغلغل في أطراف السور.

وكان الفريقان يطلقان النار على كل من يلقيانه، فهال ذلك أمر المدافعين، واتقدت جذوة المقاومة في نفوس الاهلين، واشتعلت نيران الحماسة في صفوفهم على اختلاف طبقاتهم وتباين نزعاتهم، على الرغم من الخلافات المزمنة التي كانت متأصلة في نفوسهم، فنزلوا إلى ميدان القتال متحدين متضامين.

وكانت في كربلاء حامية إيرانية من الجنود (البرطاسية)^(١)
[١] البرطازسية، وحيانا ترد (البرطازية)، وقد ذكرها العزاوي في كتابه تاريخ



محدودة العدد، كان الشاه محمد القاجاري قد اتفق مع حكومة بغداد على إبقائها في هذه المدينة المقدسة لحراسه القنصلية الإيرانية، ورعاية الجالية الإيرانية الكبيرة القاطنة فيها^(١).

مثلها في ذلك مثل الزورق البخاري الحربي الذي كان يربط أمام القنصلية البريطانية القائمة على سيف دجلة الأيمن في بغداد، مع حرس السباه الهندي الذي كان يتولى، مع الزورق المذكور حراسه القنصلية المذكورة منذ أواخر القرن التاسع عشر، فلما شعرت هذه القوة الأجنبية بالظلم الذي يحق بالمدينة، انضمت إلى قوات الكربلايين، والتحمت الجيوش الحكومية النظامية مع القوات الشعبية في معركة ضارية استمرت وقتاً طويلاً، فتغلبت القوات النظامية على قوات الأهليين في نهاية الأمر، لأنها استبسلت في القتال، ولا سيما بعد أن سمعت الغوغاء يسبون خليفة المسلمين على مسمع الجنود وضابطهم جهاراً، واندفعت إلى دروب المدينة وأسواقها، وأزقتها بأعداد كبيرة، وسيطرت على الوضع العام في اليوم الثاني لعيد الأضحى، فترجع المدافعون إلى ديارهم

العراق بين احتلالين ج ٧، ص ٦٦.

[١] الخياط، صور، ص ٣٠٦-٣٠٧.



يختبأون فيها ويتطيرون من مستقبل مظلم، واحتمى عدد كبير بصحن العباس، أخي الإمام الحسين، على أمل النجاة من الكارثة، وإذا بقوات الحكومة تشرع في القتل العام، والسبي والنهب والتخريب بشكل فظيع، وهكذا استباح الجند كربلاء مدة تتراوح بين الثلاث والخمس ساعات سيبت خلالها العائلات، وهدرت دماء الأبرياء من الشيوخ والأطفال، ولم ينج من القتال العام والملاحقة إلا الذين احتموا بالصحن الحسيني، ودار السيد كاظم الرشتي والدور التي ضمها السيد الى داره لتكون حرماً آمناً على نحو ما ذكرناه في موضع آخر، ولما بلغ القائد باب الحرم الحسيني وصحبه، خرج اليه الحاج مهدي كمنونه ومعه لفيف من السدانة، وهم يتباكون ويلطمون وجوههم، ويطلبون الأمان، وقد لفوا عمائمهم حول رقابهم حتى يؤثر عن الحاج مهدي أنه قال للقائد ما معناها:

إننا لم نخلع الطاعة، ولم نخالف الجماعة، فلا يصح أخذ الأبرياء بذنوب المفسدين والفوضويين، فترحم علينا بالأمان والاطمئنان، بحيث رق قلبه، فأمر بالكف عن القتل والملاحقة، فنجا بهذه الوسيلة كل من كان بالصحن الحسيني، إلا من مات من شدة الزحام.



وفي الوقت نفسه كان بقية الجنود قد اتجهوا نحووا صحن العباس، الذي ازدحم هو الآخر بالمستجيرين والخائفين، فتبعهم قائد الحملة، ولما وجد أبواب الصحن مغلقة، أمر الجنود بقلع أحد الأبواب، فعلوا ذلك ودخلوا الصحن عنوة، وشرعوا في قتل كل من فيه من أطفال ونساء وشيوخ عجز، حتى انقلب (الصحن) الى جحيم لا يطاق، بحيث لم يبق من تحدى السلطة الحكومية وقوتها الباطشة، وعندها أمر القائد بالأمان، وشخص الوالي محمد نجيب باشا الى المدينة بنفسه، إذا دخلها من باب بغداد في جهتها الشمالية، ومر كالبرق الخاطف الى المعسكر، فلما حل المساء، كانت المدينة في عداد الأموات، وتولى الحاج مهدي كمونه وصحبه حماية الحرم الحسيني، وتنظيف صحن أخيه العباس، من جثث الموتى ودمائهم، ولما كان الصباح عاد الوالي فدخل المدينة مرة ثانية، ومعه رؤساء جنده، يتقدمهم الفريق على صهوة جواده، والجنود خلفه، ثم اتجه الى صحن الحسين عليه السلام وعلى يمينه السيد كاظم الرشتي، وعلى شماله الحاج مهدي كمونه، وخلفهم خدم الروضة يحملون أعلامها، وفي أيديهم نسخ الفرقان العظيم.



وبعد أن طاف بالصحن، وأدى واجب الزيارة بأدى واحشام، توجهه الى تكية السيد محمد تقي الدده ومعه الملا علي الخصي والشيخ وادي الشفلح رئيس الزبيد وغيرهما، ومن كان معه من وجوه بغداد وسراتها وغيرهما، فأمر مناديه ان ينادي بالأمان، ثم سأل عن السيد وهاب الكلدار فقيل له أنه هرب، فأمر بعزله ونصب الحاج مهدي كمونه محلة، ثم أستخرج ورقة من جيبه وفيها أسماء المسؤولين - بنظر الحكومة - وطلب البحث عنهم وتسليمهم، وقد قبض فعلاً على الرئيس السيد إبراهيم الزعفراني فكبّل بالأصفاد، وأرسل الى بغداد حيث أودع السجن، فلبث فيه أياماً، وتوفي بالتدرّن الرئوي كما قبض على السيد صالح الداماد وأبعد إلى كركوك، ثم شفع فيه السيد علي النقيب فأخلي سبيله، كذلك طورد بعض السراة إضراب السيد عبد الوهاب آل طعمة سادن الروضتين، وعلي كشمش، وطعمه العيد، وبعض السادة من آل نصر الله، والنقيب، ثم عين حاكماً على كربلاء، وأمر بإبقاء ستمئة جندي كحامية فيها وعاد الى المعسكر، ومن ثم فارق المدينة الى النجف، وقد أرخت هذه الواقعة بحساب الجمل بالكلمتين (غدير دم) ويقابل ذلك السنة (١٢٥٨) للهجرة (١٨٤٣) م وصادف ذلك اليوم الثاني لعيد الأضحى في السنة المذكورة.



عدد القتلى والجرحى:

اختلفت الروايات وتباينت في تقدير عدد القتلى والجرحى في حادثة تسخير كربلاء من قبل الوالي محمد نجيب باشا، وما فقد من أموال ومجوهرات أثناء هذا التسخير اختلافاً كبيراً، لأنه استند الى العاطفة دون الإحصاء.

قال السيد حسين السيد أحمد البراقي في مخطوطٍ له اسمه (الدرّ المنثور) ما نصه:

(حدثني من كان في ذلك العصر، كالميرزا حسن الطيب ابن الميرزا خليل، والشهيد مهدي الخوجه، وغيرهما ممن لا حصر لهم، ان القتلى كانوا يزيدون على الأربعة وعشرين ألف شخص. وسلب جيش نجيب باشا من الاموال والاطعمة من مخازن الكربلايين في هذه الواقعة، التي سميت بغدير دم، حسب دفاتر التجار، سبعة عشر ألف طغار - ما يساوي ٣٤ ألف طن - من الحنطة والرز عدا غيرها من الحبوب. واحصي عدد القتلى بما يقارب ٢٤ الف قتيل، ما بين رجل و امرأة و طفل، ومنهم سحقا بالأرجل لآزدحامهم للهرب.... الخ).



وقال الشيخ حسن بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفي عام (١٢٦٢هـ - ١٨٤٧م) في مخطوطته المسماة (العبرات العنبرية في الطبقات الجعفرية) والمخطوطة محفوظة في مكتبة ال كاشف الغطاء في النجف برقم ٨٢٩ مخطوطات:

(كان عدد القتلى على ما حدثني ممن حضر الواقعة من المعتمرين، زيادة على عشرين الف رجل وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الاربعة والخمسة الى العشرة، ويهال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن. قالوا تفقدنا الدور فوجدنا كثيرا من القتلى فيها. ومنهم وجدناهم موتى في الآبار، ومنهم في السرايب حتف أنوفهم) أهـ.

ونقل السيد عبد الحسين الكلیدار في ص ٤٥ من كتابه (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) عن زنبيل فرهاد ميرزا معتمد الدولة قوله: (ومن المحقق ان تسعة آلاف شخص قد أيدوا عن آخرهم في تلك المدينة المقدسة، فضلاً عما نهب من الأموال والأحجار النفيسة، وأثاث البيوت والكتب التي لا تعد ولا تحصى).



وفي ص ٣٠ الجزء الثاني من كتاب مقالة على الشيخية
لنقولا س: (وقتل فيها قريبا من تسعة آلاف شخص اغلبهم
من الفرس).

وجاء مثل هذا التقدير في (تاريخ مجهول) أرخ عهد الوالي
داود باشا ومن جاء بعده، والكتاب مخطوط في مكتبة الأستاذ
المحامي عباس العزاوي^(١).

وفي ص ٢٧٩ من (موسوعة العتبات المقدسة) للأستاذ
جعفر الخليلي (قسم كربلاء- القسم الأول):

(وتقدر الروايات المعتدلة ان عدد القتلى بلغ أربعة الألف
نسمة بين الأهالي، وخمسمئة من الجيش المهاجم)^(٢).

وعلى كل، لما كثر القيل والقال، وكثرت المبالغات في تقدير
عدد القتلى والجرحى، وارتفعت القضية الى مصاف الأزمت
الدولية، بعث سفير بريطانية في الاستانة مندوبا عن حكومته
الى كربلاء، وهو الكولونيل فارنت^(٣)، للتأكد من صحة

[١] العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، ص٦٨.

٢. جعفر الخليلي، ص٢٧٩.

٣. الرائد ف. فارنت، وهو ملحق السفارة البريطانية في ايران، وقد وضع الوزير



هذا العدد. وفي الوقت نفسه طلب السفير الروسي فيها، الى المندوب البريطاني المذكور، ان يمثل الجانب الروسي في هذا التحقيق أيضا. اما حكومة الأستانة فقد أوفدت نامق باشا للقيام بالمهمة نفسها.

وقد جاء في تقرير FARREN المؤرخ في ١٥ ايار ١٨٤٣م: (ان عدد القتلى لم يزد على الخمسة الاف نسمة، ثلاثة آلاف قتلوا داخل المدينة، وكان معظمهم من العرب وان آلافاً من الإيرانيين فروا من البلدة قبل ان تفتحها قوات الحكومة^(١)). وكان بين القتلى ثلاثة من الهنود، وآخر يحمل الجنسية الروسية). أما المندوب العثماني نامق باشا، فقد عدد القتلى في المدينة بحوالي ٢٥٠، بينهم مئة وخمسون إيرانيا وادعى ان خسارة الجيش العثماني بلغت ٤٠٠ قتيل و ٢٠٠ جريح^(٢).

البريطاني خدماته في طهران تحت تصرف السفير البريطاني في استنبول. لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص ١١٩٤.

[١] المصدر نفسه: ص ١١٩٥.

[٢] يعلق لوريمر على الاعداد التي راحت ضحية احداث كربلاء هذه فيقول: (دخل نجيب باشا كربلاء حيث اخذ من السكان - وفق الاسلوب العثماني المعروف، تصريحاً محتوم يشهدون فيه بان الخسائر في الارواح كانت طفيفة). المصدر نفسه، ص ١١٩٣.



والمعروف ان أخبار كربلاء المؤسفة ما كادت تصل الى إيران، حتى اضطراب الرأي العام فيها وهاج، وقامت قيامة العلماء والخطباء للمطالبة بالثأر. وكان الشاه محمد مريضاً، فكتم وزراهه النبأ عنه. فلما شفي من مرضه، وأحيط علماً بما حدث، تملكه الغضب الشديد، واقسم ان يتخذ الإجراءات العسكرية للانتقام.

وكانت العلاقات بين الدولتين: العثمانية والإيرانية متوترة، ولكن سفيري بريطانية وروسية عملاً عملاً متواصلًا لتهدئة الحالة واذا بالحكومة الإيرانية تتقدم إلى الباب العالي بالأمر التالية:

١. أن يدفع السلطان (العثماني) تعويضاً لمنكوبي كربلاء.
٢. أن يعلن الباب العالي عدم رضاه، وعدم موافقته على حملة نجيب على كربلاء، وان نجيباً لم يحصل على التصريح بذلك.
٣. أسف الباب العالي لإسالة الدماء.
٤. أن يعيد نجيب باشا ما تخرب من العتبات المقدسة.
٥. أن يحكم بالعدل ويحمي الفرس في المدينة، والحجاج إليها.



٦. أن يهدد نجيب بالعزل ان هو أساء التصرف فيها بعد.

٧. أن تعلن هذه المقررات لجميع السفراء.

ولقد وافقت الحكومة العثمانية على هذه الأمور، ما عدا الأمر السادس، المتعلق بتهديد نجيب بالعزل، إذ اعتبرته تدخلا في أمور الدولة الداخلية^(١).

شاهد عيان يتحدث:

فيما يلي تعريب قسم من أرجوزة تتكون من (٢٦٠) بيتا، نظمها شاهد عيان باللغة الفارسية، وهو الميرزا زكي حسين الهندي، الذي اختفى في دار علي شاه ابن فتح علي شاه القاجاري، ليقص على الأحياء ما شاهدته بأم عينيه عن (مجزرة كربلاء) التي أرخت بكلمتي (غدير دم) اي سنة (١٢٥٨) للهجرة.

[١] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث في نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م. ص ٣٧٧، وهو ما تم نقله عن وثيقة انكليزية.



قال الزكي الهندي في أرجوزته ما خلاصته:

في يوم ١٧ ذي القعدة سنة (١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م) وصل الى خارج كربلاء ستة الاف جندي عثماني، يقودهم سعد الله باشا، مرسلين من قبل والي بغداد نجيب باشا. وبعد ان خيموا، ارسل القائد رسلا الى البلدة لمقابلة العلماء، والأشراف، ورؤساء القبائل المقيمين في كربلاء، إضراب السيد إبراهيم الزعفراني، وطعمه العيد رئيس قبيلة بني سعد، وعلي كشمش، والسيد صالح الداماد، والنقيب (لم يذكر اسمه) ورئيس أسرة آل نصر الله.

وكان يتزعم هؤلاء السيد عبد الوهاب آل طعمه حاكم كربلاء وكليدار الحرمين الشريفين، فأيد الرسل لهؤلاء النصح والكف عن العصيان، فلم تؤثر فيهم، بل أصروا على الطغيان، فرجع الرسل خائبين.

فأرسل السيد عبد الوهاب آل طعمه، السيد كاظم الرشتي، وعلي شاه القاجاري، لمواجهة قائد الحملة والوالي، واقناعهما بسحب الجيش من كربلاء، والكف عن إرسال الجند لإثارة



الحرب، فلم يؤثرها فيهما؛ وعندها انذر نجيب باشا العلماء، والأشرف والأهلين من العجزة، والأطفال، والنساء، للخروج من المدينة.

وعلى اثر ذلك فتح الاهلون النار على ألفي جنود في يوم ٢٠ / ذي القعدة / ١٢٥٨، ففر القائد سعد الله باشا مع جنده هارين.

وعلى اثر هذا الخذلان، أمر نجيب باشا ان تستخدم المدافع والخبارات (قنابر يدوية) ضد الاهلين، فدخل الاهلون إلى داخل المدينة، واقفلوا أبواب السور، وصاروا يرمون الجنود من اعالي السور بالحجارة، والطلقات النارية.

فلما ضايقتهم المدافع والخبارات، استنجدوا بالعشائر والمعدان من آل فتلة، واليسار، والكيسان، وغيرهم، فأنجدهم بثلاثة آلاف مقاتل، غير أن هؤلاء ما كادوا ينزلون البلدة حتى شرعوا في نهب أهلها بدون رأفة ولا شفقة عاد سعد الله باشا فجعل سور المدينة هدفه، فصبوب المدافع والخبارات نحوه، فأخذت فيه عدة فتحات من جهة باب النجف، وباب الخان، حتى تمكن الجند من الدخول إلى البلدة، وعندها اصدر نجيب



باشا الأمر بقتل كافة الأهلين، ونهب أموالهم، فيما عدا ثلاثة أماكن جعلها مأمناً للنساء، والأطفال، والمسنين الأبرياء، وهذه الأماكن هي حرم الإمام الحسين عليه السلام المحاط بالجنود، ودار علي شاه القاجاري، ودار السيد كاظم الرشتي.

فدخل الجيش المدينة، وتزاحم الناس على دار الرشتي، بحيث اختنق ستون شخصاً من هؤلاء، واستمرت استباحة البلدة ثلاثة أيام بلياليها، قتل خلالها الكثير من السادة والأشراف والأبرياء من اللاجئين من راجات الهند، وأفغان، والباكستان، وشاهزادات إيران، بحيث بلغ القتلى ثمانية عشر ألفاً وعند ظهر اليوم الثالث، دخل عدد من الجنود دار علي شاه القاجاري للاعتداء على النسوة، فخرجت أحدهن حاسرة الرأس، حافية القدمين، ودخلت إلى صحن الحسين عليه السلام حتى دنت من نجيب باشا، وهو على صهوة جواده، ونادته قائلة (أهكذا يعمل بأبناء الملوك يا باشا؟) فاصدر الوالي أمره بوقف المجزرة، وعاد إلى بغداد تاركاً بعض الجنود في كربلاء، وعين لها حاكماً تركياً وقاضياً مدنياً.



الأخرس وتسخير كربلاء

وللشاعر المشهور عبد الغفار الأخرس الموصللي مولداً،
والبغدادي مسكناً^(١) قصيدة مطولة يمجّد فيها قسوة الوالي
محمد نجيب باشا وبطشه، ويهنيه بفتكه وتسخيره المدينة
المقدسة، ويفتخر به لأنه ضحى بنفوس المقاتلين في عيد
الأضحى ومهما جاء في هذه القصيدة من ضروب التشفي،
فقد رأينا ان ننشرها بحروفها لأنها تصف العذاب الذي انزله
الوالي بأهل كربلاء وصفاً دقيقاً، وتذكر الوسائل التي لجأ إليها
لتجنب الكارثة فلم يفلح، قال الاخرس:

غداة ابادت^(٢) مفسدي اهل كربلا وكرت مواضيه بها ايماكر
فدانت وما دانت لمن كان قبله من الوزراء السابقين الى الفخر
وما ادركوا منها مراما ولا منى ولا ظفروا منها بلب ولا قشر

١. ولد عبد الغفار بن السيد عبد الواحد في الموصل الحدباء عام (١٢٢٠) للهجرة.
وبعد ان قام في بغداد سنوات طويلة، رحل الى البصرة الفيحاء، وارتحل الى دار
البقاء فيها عام (١٢٩٠)، ودفن في مقبرة الحسن البصري بالزبير. فيكون عمره
سبعين عاماً.



وحذرهم من قبل ذلك بطشه
وعاملهم هذا الوزير بعدله
وانذرهم بطشا شديدا وسطوة
ولو يصبر القرم الوزير عليهمو
وصال عليهم عند ذلك صولة
وسار بجيش والخمس عرمرم
من الترك لم ترك على الأرض مفسد
وقد افسدوا شر الفساد بأرضهم
رمتهم بشهب الموت منه مدافع
رأوا أهوال يوم الحشر في موقف الردى
فدمرهم تدمير عاد لبغيهم
لم ترهم صرعى كان دماءهم
وكم فئة قد خامر البغي قلبها
فراحت بها الاجساد وهي طريجة
وامهلهم شهرا وزاد على الشهر
وحاشاه من الظلم، وحاشاه من جور
وبالغ بالرسل الكرام وبالنذر
لقليل به عجز وما قيل عن صبر
ولا صولة الضرغام بالبيض والسمر
فالليل اذيسري وكالسيل اذيجري
يعود بها نظم المفاسد في نثر^(١)
الى ان اتاهم منه بالفتكة البكر
لها شرر في ظلمة الليل كالقصر
وهل تنكر الاهوال في موقف الحشر
بصاعقة لم يبق للقوم من اثر
تسيل كما سالت معتقة الخمر
على انها صيدت بأحبولة الحصر
تداس على ذنب جنته لدى الوزر

١. ورد في ديوان الأخرس (أبيدت).

٢. ورد هذا البيت في الأصل المخطوط للقصيدية ولم يرد في الديوان المطبوع.



فأن مراد الله جار على الورى
تجول المنايا بينهم بجنودها
تلاطم فيها الموج والموج من دم
فلاذوا بقبر ابن النبي محمد
فان تركوا لا يترك السيف قتلهم
سيول دم القتلى غداة ابادهم
ولا برحت ايامه الغر غرة
ولا زال في عيد جديد مؤرخا
ولا بدن يجري ولا بدن يجري
بحيث مجال الحرب اضيق من شبر
تلاطم موج البحر في لجة البحر
فهل سر في تدميرهم صاحب القبر
وان ظهروا باءوا بقاصمة الظهر
تسيل بهاتيك الازقة والجدرا^(١)
تضيء ضياء الشمس في طلعة الظهر
فقد جاء يوم العيد بالفتح والنصر
اي سنة (١٢٥٨) للهجرة.

١. لم يرد هذا البيت في ديوان الاخرس المطبوع في استنبول عام ١٣٠٤ وانما ورد في مخطوطة للقصيد.



فهرست الاعلام

حرف الالف

الاحسائي (الشيخ احمد)

الاخرس (عبد الغفار)

الامامية

الاسلام

الانكشارية

آل زغبة

آل فتله

الايرانيون

حرف الباء

بابان (احمد)

البرطاسية (جنود)



البراقی (السید حسین)

البصری (الحسن)

بریطانیة

بنو سالم

حرف الجیم

جمال الدین (منیر)

الروسية (الحكومة)

حرف الحاء

حسن (كاشف الغطاء)

الحسین (الامام)

الحسین (عبد الرزاق)

حرف الخاء

الخليلي (جعفر)

خليل (المرزة)

الخصبي (الملا علي)



الخوجة (مهدي)

الخياط (جعفر)

حرف الدال

الداماد (السيد صالح)

داود (الوالي)

درويش

الدده (السيد محمد تقي)

حرف الراء

الراوي (ابراهيم)

رباني (شوقي)

الرشتي (كاظم)

الرضوي (محمد)

العزاوي (عباس)

حرف الزاء

زردني (محمد)

الزعفрани (ابراهيم)



حرف السين

سعد باشا

سعد (عبد الجليل)

حرف الشين

شاه (محمد)

شاه (فتح علي)

الشفلح (وداي)

شوكت (ناجي)

الشيخة

حرف الصاد

صفوك (الشيخ)

حرف الطاء

الطبيب (مرزا حسن)

الطعمة (السيد وهاب)

حرف العين

عبيد الله بن زياد



العباس (الامام)

العثمانية (الدولة)

العييد (قبائل)

العرب

عكيل (قبائل)

العبد (طعمه)

العلي الالاهية

علي الامام

حرف الفاء

فاضل (الدكتور اكرم)

فارنت (الكونيل)

فرنسة

فريز (جيمس)

فوصل (بيردي)



حرف القاف

القاجاري (علي شاه)

القصيم (عرب)

القزويني (ابراهيم)

القزويني (حسين)

حرف الكاف

الكيسات

الكشفية

الكليدار (عبد الحسين)

الكليدار (السيد وهاب)

كشمش (علي)

كمونة (الحاج مهدي)

حرف اللام

اللاز (علي باشا)

حرف الميم



مجيد (السلطان عبد اله)

محمد باشا

محمد نجيب الوالي

المسلمون

مصطفى باشا (الفريق)

المعدان (قبائل)

حرف النون

نامق باشا

نصر الله (آل)

نيقولاس

حرف الواو

الوردي (الدكتور علي)

اليارامز

حرف الياء

اليسار (قبيلة)



الفهرس

- كلمة المركز ٧
- كلمة لابّد منها ١١
- تسخير كربلاء ١٣
- جماعة اليارامز ١٦
- اليارامز وعلي اللاز ٢١
- اليارامز ومحمد نجيب ٢٣
- الوضع العام في كربلاء ٢٥
- وأول الغيث قطر ٢٦
- صراع مذهبي داخلي ٣٠
- استغلال الخلاف ٣٢
- الشروع في الحركات ٣٥



- ٤٤ عدد القتلى والجرحى
- ٤٩ شاهد عيان يتحدث
- ٥٣ الأخرس وتسخير كربلاء
- ٥٧ فهرست الاعلام

